

حوريت الثقافية

HORIET AL-THAQAFIAH

دورية فصلية، العدد (6/5)، خريف - شتاء 2026

الوجه الفلسفي للمعنى

كم حضرموت في (حضرموتي) كبلنغ؟

سقطرى جزيرة النعيم

بغداد نيكولاس ميشيل

في الحرب جذر الأشياء

طفاية تشيخوف

• نصوص
• قراءات
• مراجعات





أ. نبيل هيازع لـ (حوريت الثقافية):

الثقافة والتقاليد الحضرمية أضافت إلى التنوع الإندونيسي أبعاداً أصيلة

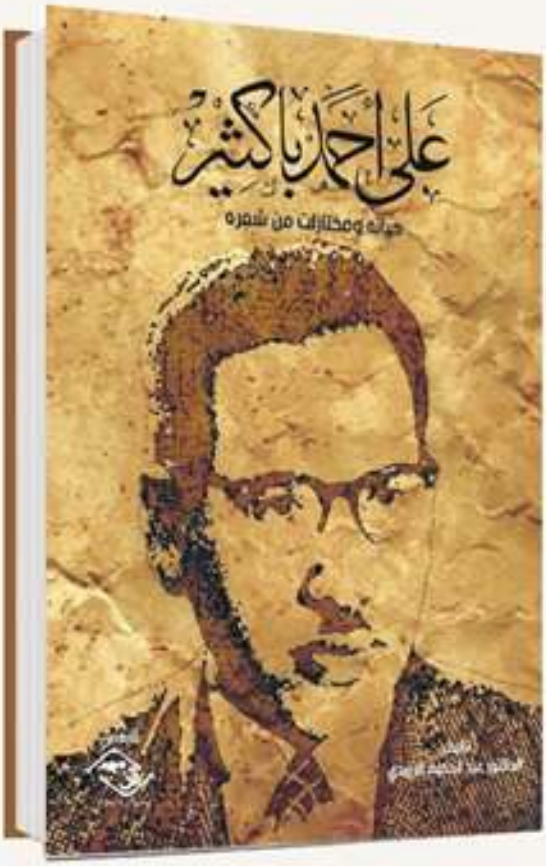
كتب ومراجعات



نجيب سعيد باوزير

نظرات في كتاب
(علي أحمد باكثير.. حياته ومختارات من شعره)

صدر للأديب الإماراتي الدكتور عبدالحكيم الزبيدي مؤخراً كتاب بعنوان (علي أحمد باكثير.. حياته ومختارات من شعره)، عن دار شمس للنشر والإعلام، بالقاهرة. ومن يطلع على الكتاب يجد أن الجزء الخاص بحياة باكثير لا يحتل إلا ثلث حجم الكتاب تقريبًا، وتحتل المختارات الشعرية الثلثين الآخرين، بما يجعل الحديث عن باكثير أشبه بمقدمة للمختارات ليس إلا.



والكتاب جاء في وقته إن لم يكن متأخرا عن وقته بعض الشيء. فهذه أول مرة تظهر فيها مجموعة شعرية للأديب الحضرمي المصري باكثير تشمل قصائد مختارة من شعره الذي كتبه خلال مراحل حياته كلها، إذ كان الدكتور محمد أبوبكر حميد قد نشر ديوانين من شعر باكثير يضم أحدهما قصائده التي نظمها في حضرموت، ويضم الثاني قصائده التي نظمها في عدن. وقد اقتصر المؤلف على اختيار خمسين قصيدة حاول "أن تكون معبرة عن توجهات باكثير الفكرية والقضايا التي كان يتناولها في شعره". وهي قصائد أشهد أن الدكتور الزبيدي كان موفقاً كل التوفيق في اختيارها، فبالإضافة إلى أنها من أجود قصائد باكثير فإنها تغطي مراحل حياة باكثير الأدبية كلها، كما ذكرنا، منذ عام 1925م -عندما كان في العقد الثاني فقط من عمره- حتى عام 1969 وهو العام الذي كانت فيه وفاته في العاشر من نوفمبر.

وقد بذل الدكتور الزبيدي جهداً كبيراً في هذا الكتاب، يشكر عليه، وجمع وقدم فيه عدداً كبيراً من المعلومات الجديدة عن علي أحمد باكثير وأسرته ونشأته وأقاربه وأسفاره والوظائف التي عمل بها فضلاً عن التفاصيل الدقيقة عن إنتاجه الأدبي وأعماله في مجال المسرح والرواية وغيرها بما في ذلك أعماله المخطوطة التي لم تنشر بعد، بل إنه نشر في نهاية الكتاب صوراً لأغلفة الطبعات الأولى لبعض أعمال باكثير ولأغلفة بعض أعماله التي ترجمت إلى لغات أجنبية ومنها الإنجليزية والفرنسية والإندونيسية. ومن الأعمال المجهولة لباكثير التي أسمع عنها لأول مرة قيامه بتحقيق وتقديم ديوان الشاعر المصري صالح الشرنوبي الذي اخترمته المنية وهو في السابعة والعشرين من عمره.

أهدى الدكتور الزبيدي كتابه إلى الدكتور محمد أبو بكر حميد، أستاذه وصديقه كما وصفه، في إهداء طويل عرفانا واعترافا بفضله في خدمة أدب وتراث علي أحمد باكثير "بما لم يخدمه به أحد غيره". وفي بداية مقدمته القصيرة للكتاب قال إن تأليف الكتاب كان فكرة الأستاذ سالم عبدالله بن سلمان، صاحب دار حضرموت للدراسات والنشر التي ظهر شعارها على غلاف الكتاب إلى جانب شعار الدار المصرية التي طبعت الكتاب. وذيّل المؤلف مقدمة كتابه بتاريخ 10 نوفمبر 2024 الذي يتوافق مع الذكرى الخامسة والخمسين لوفاة باكثير.

وتجنبًا للإطالة، سأقصر حديثي عن المختارات الشعرية على المراثي والشعر الإسلامي والوطني.

1 - شعر الرثاء:

اختار مؤلف الكتاب أن تكون أول هذه المختارات قصيدة باكثير في رثاء والده الشيخ أحمد بن محمد باكثير الذي توفي في 3 فبراير 1925م، وعنوانها (النائحة)، وهي قصيدة عصماء طويلة يبلغ عدد أبياتها سبعة وسبعين بيتا، وكان من دلائل النبوغ والعبقرية أن تصدر عن باكثير وهو في تلك السن المبكرة -تقريبا منتصف العقد الثاني من عمره-، ومطلعها:

عبثًا تحاولُ أن تكُفّ الأدمعا
وأبوك أمسى راحلًا مُستودَعا


د. عبدالحكيم الزبيدي

وقد أحصيت المراثي التي ضمها مؤلف الكتاب إلى مختاراته الباكثيرية فوجدتها عشر مراثٍ، من بينها مراثيه في الأديب عباس محمود العقاد، والمطربة أسمهان، والزعيم الإندونيسي الدكتور رادين سوتومو. ومن أساليب باكثير الجميلة في الرثاء أن يجعل الشخص المرثي يتكلم أي يضع على لسانه الكلام الذي يرى باكثير أن الشخص المرثي يمكن أن يقوله لو استطاع الكلام. وقد جعل قصيدة رثاء كاملة - وهي من بين القصائد العشر- "على لسان" الشخص المرثي وهو الشهيد صلاح الدين الصباغ الذي كان أحد رجال حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق وأعدمته بريطانيا مع زملائه. ومطلع القصيدة:

فيم احتشادكمو هذا لتأبيني؟
أنتم أحقُّ بتأبين الورى دوني

وسأتوقف عند مرثاة واحدة هي مرثاته في الملك فيصل بن الحسين ملك العراق التي جعل عنوانها (رسول الوحدة العربية)، وهذا الملك رثاه تقريباً كل الشعراء العرب المعروفين في ذلك الوقت، يقول باكثير:


د. محمد أبوبكر حميد

سالم عبدالله بن سلمان


عباس محمود العقاد


الفنانة إسمهان

يا أبا غازي وما فينا فتى ... ما براهُ يوم ودعتَ الألمْ
ليت شعري سامعٌ أسئلتي ... أنت أم في مسمع الموت صممْ؟
فيم ودعتَ على أجراحها ... أمةَ العُرب ولمّا تلتئمْ؟
فيم غادرتَ بني قحطانَ في ... مِرجلٍ يغلي ونارٍ تحتدمْ؟
أو لمْ تشرعْ لها وِحدتَها؟ ... لو تلبّثتَ بها حتى تَتِمّ
لم تُجب قولي.. بلى هذا صدًى ... رنَّ في أعماق قلبي كالنغمْ:
مُكرهٌ.. لو كان أمري بيدي ... لم أمت إلا وقد لُمْنا الأممْ
ورأيتُ العُربَ في وِحدتِها ... كشعاع النورِ يسري في الظُّلَمْ
همها أن تُصلح العالم في ... يدها السيفُ وفي الأخرى القلمْ

2 - الشعر الإسلامي والوطني:

كما رأينا فإن شعر الرثاء كثيرًا ما يتداخل مع النفس الإسلامي والوطني لأن من يرثيهم باكثير غالبًا ما يكونون من أصحاب الأدوار في العمل لخدمة الإسلام والعروبة والدفاع عنهما. وكذلك فإن من يمدحهم هم من هذه الشريحة الثقافية الممتازة التي عاصرها باكثير في النصف الأول من القرن العشرين وكان هو نفسه واحدًا من أقطابها؛ ومن ذلك قصيدته الطويلة التي وجهها "إلى مقام أمير البيان الأمير شكيب أرسلان" وجعل عنوانها (من حضرموت إلى لوزان)، إذ كان قد كتبها وهو ما زال في حضرموت وأرسلها إلى مجلة (الفتح) بالقاهرة فنشرتها بتاريخ 9 يونيو 1932م. ومطلعها:

تحيةً لعميد العُربِ حاميها ... من حضرموتَ إلى لوزانَ أُهديها

وكذلك قصيدته عن المجاهد المغربي علال الفاسي:

ذكرتُكَ يا علالُ والناس هُجَّعٌ ... وليس سوى جفني وجفنك ساهدُ

ومن أجمل قصائد هذا القسم قصيدة (ليلة ميلاد النبي)، التي من عوامل جمالها هذه القافية العبقرية التي تنتهي بروي الياء المشددة. فعلى الرغم من أن الروي (الياء) ساكن أو مسكن فإنك تحس فيه بقوة الشدّة لأن النَّبر stress يقع على الحرف الذي قبل الياء:

إيه يا ليلةَ ميلاد النبيّ ... بددي الظلمة بالنور السنيّ

ومنها هذه الأبيات التي يصف فيها حال الأمة الإسلامية:

كيف نال الدهرُ من عزتها ... كيف نال الرُّغمُ من أنفِ حميّ
كيف أضحت قصةً محزنة ... تُخضعُ الأدمُعَ من طرفٍ عصيّ
زهِدتْ في روحها واتّبعت ... فِتَنَ الغربِ الأثيمِ الجسديّ
رغبت عن جِدِّهِ الباني وقد ... أخذت من لهوِهِ كلَّ زريّ
فانبرت عابثةً لاهية ... لا تبالي غدها مثل الصبيّ
يشتكي الإسلامُ في أوطانها ... غُربة العفةِ في قلب البغيّ
ضاع ما بين (جمودٍ) جاهلٍ ... حكمةَ الدين و(إلحادٍ) ذكيّ

أما درة قصائد هذا القسم من المختارات فهي المطولة الشعرية الباكثيرية المكتوبة بطريقة شعر التفعيلة، التي أحسن المؤلف بضمها إلى مختاراته في الكتاب، وإن كان لم ينشرها كلها نظراً لطولها المفرط (636 سطرًا) واكتفى بمقاطع منها. كتب باكثير هذه القصيدة بعد هزيمة الخامس من حزيران 1967م، وكانت أبلغ رد إسلامي عروبي على الهزيمة، ونختار منها هذا المقطع:

لا والذي يقول: كن، لما يشاءُ فيكون
وقسماً ببيته المحرم المصون
لَمثلما كنا قديماً سنكون
ومثلما أرادنا كتابنا سوف نكون
ومثلما أرادنا نبينا سوف نكون
أعزةٌ مناضلونْ
وأقوياءُ عادلونْ
لا لن نذل أبداً ولن نهون
وإن تواطأ الطغاة أجمعون
فليسمعوا.. هل يسمعون؟
ولْيَشهدنّ العالمون
أنا علينا أن نكونْ
أعزةً أو لا نكونْ.


الزعيم الإندونيسي رادين سوتومو


صلاح الدين الصباغ


شكيب ارسلان


فيصل بن الحسين (ملك العراق)